وجاء الكوفيون فوجدوا في «الكتاب» ضالتهم كما أشرنا، وليس الأمر مقصوراً على الكسائي الذي قرأه على الأخفش بل كان الفرّاء أشدّ من الكسائي عناية به حتى قيل إن شيئاً من كراريس «الكتاب» وجد تحت وسادته التي كان يجلس عليها[1].

لقد كانت مادة «الكتاب» المصدر الذي يحتج به النحاة الأوائل في مناظراتهم، فقد عرف أن الأخفش بعد أن تحوّل إلى بغداد اتصل بالكسائي وناظره فخطّأه في جميع ما أجاب به عن مسائله، ذكر ذلك الزبيدي في «الطبقات»[2] في ترجمة سيبويه.

وقد عرف الجاحظ قيمة «الكتاب» فقد قال:

«أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ففكّرت في شيء أهديه له، فلم أجد شيئاً أشرف من «كتاب» سيبويه، فلما وصلت إليه، قلت له: لم أجد شيئاً أهديه مثل هذا الكتاب، وقد اشتريته من ميراث الفرّاء، فقال: والله ما أهديت لي شيئاً أحبّ إليّ منه»[3].

ومن المفيد أن نعرض لمشاركة الكوفيين ولا سيما الأوائل منهم في العلم النحوي. فنقول: ليس لنا من نحو الكسائي شيء كثير بل نجد من ذلك شذرات في كتب النحو القديم، وهي في جملتها لا تؤلف شيئاً ولا يمكن أن تكون مادة يقوم عليها بناء نحوي في أصوله وفروعه، فكيف يحق لنا أن نقول: إنه بداية مدرسة نحوية!.

فمن مسائل الكسائي النحوية جواز أن يعمل الفعل المتعدي إلى واحد في الاسم وفي ضميره، ولا يستلزم ذلك عنده ما يستلزمه عند

---

(١) طبقات النحويين للزبيدي (سيبويه).

(٢) المصدر السابق.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٤٨٠.